البراهين المنطقية
وتوظيفها في إثبات نبوة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم

بحث تقدم به

م. د. محمد ياسين حسين

تدريسي في كلية الإمام الأعظم -رحمه الله- الجامعة

الملخص

إن براهين نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يحصرها الحد، ولا يجمعها الحد؛ فهناك البراهين الفطرية التي بها آمنت السيدة خديجة، وآمن بها سيدنا ابو بكر الصديق وسيدنا علي بن أبي طالب...، وهناك البراهين المبنية على استنتاج التلازم بين أمرين يفضي أحدهما إلى الآخر؛ كما ورد في الخطوات العقلية التي سار بها هرقل مع أبي سفيان، وهناك البراهين الكونية من خلال مطابقة ما جاء به مع أحدث الحقائق الكونية... وهلم جرا.

ولعل البراهين كلها تعود -بالمباشرة أو التأويل- إلى حاضنة البراهين الفلسفية المقررة في علم المنطق.

لذا.. أخترت أن أكتب في توظيف البراهين المعتمدة في علم المنطق لإثبات صدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ ليكون ذلك طريقاً لمدعي الفلسفة، وليكون خطوة من الخطوات في تعزيز الترابط بين العلوم، وإحسان استخدام القواعد العامة للخروج من النظرية الجامدة إلى التطبيق المرن.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

Abstract

The proofs of the prophecy of our master Muhammad, may God bless him and grant him peace, are not limited by the limit, and the limit does not collect them. There are innate proofs in which Mrs. Khadija believed, and our master Abu Bakr Al-Siddiq and our master Ali bin Abi Talib believed in her..., and there are proofs based on the conclusion of the correlation between two things that lead to the other; As stated in the mental steps that Heraclius took with Abu Sufyan, and there are cosmic proofs by matching what he brought with the latest cosmic facts... and so on.

Perhaps all the proofs are due - directly or through interpretation - to the incubator of the philosophical proofs established in the science of logic.

So.. I chose to write in employing the proofs adopted in the science of logic to prove the veracity of the prophecy of our master Muhammad, may God bless him and grant him peace; For this to be a path for the claimants of philosophy, and for it to be one of the steps in strengthening the interdependence between sciences, and making good use of the general rules to get out of the rigid theory to the flexible application.

قال تعالى:

(إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)

البقرة: ١١٩

يقول العالم الفلكي الأمريكي مايكل هارت:

(لقد اخترت محمداً صلى الله عليه وسلم في أول هذه القائمة ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار، ومعهم حق في ذلك، ولكم محمد عليه السلام هو الانسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي، وبعد ثلاثة عشر قرناً من وفاته فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قوياً متجدداً... فلم يعرف العالم كله رجل بهذه العظمة قبل ذلك).

كتاب: الخالدون مئة أعظمهم محمد رسول الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فلما كانت الأشياء تتبين بضدها.. جرت حكمة الله تعالى وعادته بأن الشر دائمًا يلاحق الخير، والباطل يلاحق الحق؛ ليميز الله الخبيث من الطيب.

ومما ابتليت به البشرية -تحقيقًا لحكمة الله تعالى- ظهور أناس شككوا بشتى الحقائق، وحاولوا ضرب الثوابت، وعملوا عملاً دؤوبًا للنيل من الحقيقة العلمية القائمة على منطق العقل الصريح وميزان العلم الدقيق.

ومن تلك الحقائق الثابتة.. (النبوة)؛ فقد حاول المبطلون أعداءُ العقل التشكيكَ بهذه الحقيقة والإنكار عليها.. على مر العصور و كر الدهور، منذ عصره ﷺ ومن أقرب الناس إليه حتى يوم الناس هذا.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وما زالت هذه الفكرة قائمة في رؤوس أعداء الحقيقة، لنقض عرى الإسلام، وتضييع أهله وحجب الناس عنه لمآرب تبتغيها مصالح الكفر.

وفي هذا العصر.. رأينا أن الهجمة قد اشتدت وبلغت ذروتها وأضرمت نار أحقادها؛ فصار العمل على نطاقين؛ جديدٍ وقديم؛ أما القديم.. فهو ما عهدناه من جيوش الكفر والجهل، والذين يرومون نسف النبوة من أصلها؛ ليتسنى لهم الخروج عن كل قيد عقلي أو ديني أو عرفي أو اجتماعي، ويرتعوا في بحار الملذات.

وأما الجديد.. فهو ما تعلق بأذيال الكفر من بني جلدتنا الذين رضوا لأنفسهم السباحة في أوحال الجهل والمسابقة في مضمار التبعية المقيتة؛ فراحوا ينشرون ما يُملى عليهم بكرة وأصيلاً.. من التظاهر بالإقرار بالنبوة مع سعي حثيث لتفريغها من محتواها الحقيقي، وبهذا كان اتجاههم اتجاهًا خطيرًا في زمن الانسلاخ عن الضوابط العلمية واستشراء الجهل مما يسهل عملية إضلال الشعوب والمجتمعات وإخراجها عن دينها بلا شعور منها، بل ربما مع تزيين ذلك الباطل باسم القراءة الحديثة والتنوير والعقلانية... وغير ذلك من الألفاظ البراقة التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبلها العذاب.

لذا.. كان لزامًا على كل من يبحث عن الحقيقة المجردة ويدعو الناس إليها.. أن يكون له دور في الحد من هذا التلاعب بالثوابت احترامًا لمقتضى العقل وموازينه.

لذا بادرت بكتابة هذه الأسطر لعلها تكون إيضاحًا لمنهجية فكرية عاشت العقول في ظلالها حقبًا وأزمنة عديدة خالية من النقص والشذوذ الفكري، قبل أن تحل هذه الصواعق المميتة أو المفزعة للعقل في الوقت الحالي، ثم أردفتها بما ينبني عليها من معلومات يجب أن تؤخذ بالتسليم والإذعان لكون مقدماتها علمية وموزونة في المادة والصورة.

لذا.. اقتضى هذا البحث أن يقسم إلى

مبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: مفهوم صناعة البرهان.

المبحث الثاني: توظيف البرهان في إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقتها.

والخاتمة في ذكر أهم النتائج.

ومحصل الأمر: أنني في هذا البحث أحببت أن نوظف أدلة المنطق في علم الكلام، وبهذا نكتسب دُربة في تطبيق قواعد علم المنطق، وأيضًا هذه النماذج من الأدلة تكون نموذجاً لقياس نظيرتها عليها من الأدلة؛ ولعلي في هذا البحث أكون قد أسهمت في الذب عن حقيقة من أعظم الحقائق العلمية وهي النبوة والأنبياء.

والله تعالى أسأل أن يمن عليَّ بالسداد والعون والتوفيق، وأن يجعل هذه الكلمات عونًا في طريق كل متعثر يبتغي الوصول إلى الحق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
مفهوم صناعة البرهان

لا يخفى على مطلع بأن علم المنطق -الذي هو معيار العلوم وميزانها وبه يعرف صحيح الفكر من فاسده- يعتني بصورة القضية ومادتها، وقد تحدثت جل كتب المنطق في ذلك لا سيما الجانب الصوري، وما يهمنا هنا هو الجانب المادي.

والجانب المادي ربما لم يحفل به كثير من المتأخرين ولم يعطوه حقه؛ ولعل عذرهم في هذا: أن المنطق هو علم من العلوم، وكل علم كفيل بأن يقدم مسائله منضبطة وموزونة بميزان البحث العلمي الدقيق بعد سبر وتمحيص وتدليل وفحص؛ حتى تخرج تلك المسائل من ذلك العلم تامة معتمدة، بيد أن الخلل يحصل في صورة الاستدلال التي قد لا تراعى في ذلك العلم، فجاء المنطق ليقوم بالمهمة الكبيرة التي أغفلتها العلوم وهو الجانب الصوري، فاعتنى بالجانب الصوري

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وضبطه بإحكام.

وهذا الجانب المادي هو المسمى في عرف المناطقة بـ (الصناعات الخمس).

والصناعة: (ملكة يقتدر بها على استعمال موضوعات ما نحو غرض من الأغراض صادراً عن البصيرة بحسب ما يمكن فيها)[1].

و هذه الصناعة الأصل فيها أنها تطلق على العلوم العملية؛ كالطب والمنطق، وقد تطلق على ما يشمل العلوم النظرية بأن يراد بها مطلق ملكة الإدراك[2].

و إنما كانت خمسًا؛ لأن القياس إن تركب من مقدمات يقينية -ضرورية أو نظرية- فبرهان، و إن تركب من المشهورات أو المسلمات عند جميع الناس أو بعضهم فجدل، و إن تركب من المقبولات أو المظنونات فخطابة، و إن تركب من المخيلات فشعر، و إن تركب من الوهميات فمغالطة[3]، و سيأتي مزيد إيضاح له من خلال تقسيم آخر.

وهذه الصناعات معروفة في محلها؛ إذ هي تقع في الجانب التصديقي من المنطق وهي من مقومات مقاصد التصديقات؛ لذا لن نطيل بذكر نبذة عن التصديقات والقضايا و أحكامها... لأنها معروفة في محلها عند القاصي و الداني من مزاولي علوم الشريعة، ولأن البحث فيها يخرجنا عن مقصود هذا البحث.

غير أننا من المهم أن نشير إلى أن أحوال القضايا التي تعرض لها على قسمين:

١. أحوال تعرض للقضية بالقياس إلى النتيجة اللازمة منها؛ مثل: كون القضية تفيد اليقين أو الظن أو غيرهما.

٢. أحوال تعرض للقضية باعتبار أحكام يحكم بها على القضية؛ كالانقسام و التناقض و العكوس و تلازم الشرطيات، من غير نظر إلى مدار الحجاج و استلزام

(١) شرح إيساغوجي، للعلامة الإسكيجي: ٢٦١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٢٦٢.

النتائج[١].

فالمقصود هنا هو الحال الأولى كما تقدم التنبيه عليه، ونزيد الأمر إيضاحًا في بيانه ونقول:

إن القضية المنطقية تحدث في النفس انفعالًا معينًا؛ قد يكون تصديقًا وقد يكون تخييلاً، وهذا التأثير يتحدث عنه أهل النحو في مسألة سبب تسمية الكلام بهذا الاسم؛ ونقسم هذا الأمر إلى أقسام ليزداد وضوحًا فنقول:

القضية إما أن تقتضي تصديقًا أولا، والتصديق إما جازم أولا، والجازم إما عن سبب أو لا، والتي تقتضي تصديقًا غير جازم.. إما لكونها متعارفًا عليها بين الناس كافة أو أكثرهم أو طائفة مخصوصة منهم، أو لكونها مظنونة أو صادرة ممن يعتقد به، و التي لا تقتضي تصديقًا إما أن تقتضي تأثيرًا أو لا.

فالتي تقتضي:

١. تصديقًا جازمًا مطابقًا لسبب فهي اليقينيات.

٢. والتي تقتضي تصديقًا جازمًا لا لسبب بل لما يشبه السبب فهي المغالطات.

٣. والتي تقتضي تصديقًا غير جازم لكونها متعارفًا عليها بين الناس كافة أو أكثرهم أو طائفة مخصوصة منهم فهو الجدل.

٤. والتي تقتضي تصديقًا غير جازم لكونها مظنونة أو صادرة ممن يعتقد به فهي الخطابة.

٥. والتي تقتضي تأثيرًا غير التصديق فهي الشعر.

وما لا تقتضي تصديقًا ولا تأثيرًا فهي غير مستعملة في العلوم لعدم الفائدة منها.

ومما يجدر التنبيه إليه: أن ما يقتضي تصديقًا غير جازم -سواء كان جدلًا أو خطابة- أعم من البرهان باعتبار المادة والصورة؛ فقد يجتمع في مادة الجدل اليقين الشهرة، و قد تكون مشهورة لكنها ليست يقينية بل قد يجتمع مع الشهرة

(١) ينظر: سيف الغلاب شرح مغني الطلاب، للعلامة محمد فوزي: ٣٣٣.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الكذب و عدم مطابقة الواقع؛ كشهرة حسن عبادة الأصنام عند عابديها -نسأل الله تعالى العافية-.

أما كونه أعم من البرهان من حيث الصورة.. فلأن المعتبر في الجدل الإنتاج بحسب التسليم، سواء كان قياسًا أم استقراءً أم تمثيلاً، بينما البرهان لا يكون الا قياسًا[١].

أما الخطابة.. فهي أعم من البرهان صورة؛ فإنها قد تكون قياسًا، و قد تكون استقراء، و قد تكون تمثيلاً[٢].

هذا عرض سريع لمواد الصناعات، وسوف لن نقف عليها؛ إذ هي معروفة في محالها، لكن نقف على ما يعنينا منها وهو البرهان حصرًا، وقد نحتاج إلى ذكر صناعة أخرى من حيث علاقتها بالبرهان لا من حيث نفسها، فأقول:

اتفق العلماء على أن البرهان هو المقدم على جميع الصناعات؛ لكونه مركبًا من اليقينيات التي هي أشرف المواد، ومنتجًا لليقين الذي هو العمدة في طلب المعتقدات المنجيات.

والبرهان: (قياس مؤلف من مقدمات يقينية لإنتاج اليقين)[٣]، و هذه المقدمات قد تكون ضرورية و هي التي حصرها العلماء بستة أنواع، و قد تكون نظرية كسبية وهي اليقينيات بواسطة الضروريات[٤]، و قد علم من هذا: أن الضروريات هي أصول اليقينيات.

و اليقين -كما تقدم- هو اعتقاد الشيء بأنه لا يمكن أن يكون الا كذا اعتقادًا جازمًا مطابقًا للواقع عن دليل غير ممكن للزوال[٥]، فهو إذن مركب من أمرين: اليقين بثبوت النسبة بين الطرفين، و اليقين

(١) ينظر: شرح الشمسية للسعد التفتازاني: ٣٧٥.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧٦.
(٣) شرح السلم المنورق، للعلامة الملوي: ١٥٠.
(٤) ينظر: سيف الغلاب، للعلامة محمد فوزي: ٣٣٤.
(٥) ينظر: شرح إيساغوجي، للعلامة الإيسكيجي: ٢٦٤.

باستحالة عدمها، و يسمى اليقين الخاص؛ لأنه هو الذي يطلبه أرباب العلوم العقلية و الحكمية[١]، قال الإمام الرازي: (اليقين هو العلم بالشيء بعد أن كان صاحبه شاكا فيه، فلذلك لا يقول القائل: تيقنت وجود نفسي، وتيقنت أن السماء فوقي لما أن العلم به غير مستدرك، ويقال ذلك في العلم الحادث بالأمور سواء كان ذلك العلم ضروريا أو استدلاليا، فيقول القائل: تيقنت ما أردته بهذا الكلام وإن كان قد علم مراده بالاضطرار، ويقول تيقنت أن الإله واحد وإن كان قد علمه بالاكتساب)[٢].

ولما نص بعض العلماء على أن اليقين من المشكك الذي تتفاوت أفراده.. بين الإمام علي القاري مراتبه بقوله: (علم اليقين ما كان بشرط البرهان وعينه بحكم البيان وحقه بنعت العيان فعلم اليقين لأصحاب العقول وعينه لأصحاب العلوم وحقه لأصحاب المعارف)[٣].

والبرهان إما أن يكون استدلالاً بالعلة على المعلول.. فهو البرهان اللمي؛ و هو: ما كان الحد الأوسط فيه علة لنسبة الأكبر إلى الأصغر في الذهن والخارج[٤] نحو: هذه الحديدة ارتفعت حرارتها، وكل حديدة ارتفعت حرارتها فهي متمددة.. ينتج: هذه الحديدة متمددة[٥]، فنلحظ أن علة التمدد هو ارتفاع الحرارة، وهو قد وقع حدًا أوسط هنا.

و إما أن يكون استدلالاً بالمعلول على العلة وهو البرهان الإني، وهو: ما كان الحد الأوسط فيه علة لنسبة الأكبر إلى الأصغر في الذهن فقط دون الخارج[٦]، نحو: العالم متغير، و كل متغير حادث.. ينتج: العالم حادث، فنلحظ أن التغير –

(١) ينظر: لباب المنطق، للشيخ فلاح العابدي: ١٦٢.
(٢) مفاتيح الغيب، للإمام الرازي: ٢/٢٧٨.
(٣) شرح الشفا: ١/٣٥.
(٤) ينظر: مغني الطلاب:٣٣٨.
(٥) ينظر: المنطق: للمظفر: ٤٩٩.
(٦) ينظر: مغني الطلاب: ٣٣٩.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وهو الحد الأوسط- معلول للحدوث، والحدوث -الذي هو الأكبر- علة له في الخارج؛ إذ سبب التغير هو الحدوث أي هو متغير لكونه حادثًا، وليس أنه حادث لكونه متغيرًا.

والبرهان اللمي أقوى من البرهان الإني؛ لأن اللمي يثبت الشيء مقرونًا بعلته الخارجية، بينما الإني يثبت الشيء فقط.

هذا نختم هذا الاستعراض السريع بالمرور على أقسام اليقينيات، فأقول:

قسم العلماء اليقينيات -كما تقدم- إلى قسمين؛ ضروريات وتسمى: القضايا الواجب قبولها، ونظريات تعود إلى الضروريات، ولما كانت النظريات لا تنتهي لحد ولا يمكن حصرها.. حصر العلماء الضروريات فقط، وعن طريق الحصر العقلي والاستقرائي وجدوها لا تخرج عن ستة أنواع، ووجه الحصر:

أن المدرِك -الذي هو الحاكم بصدق النسبة- إما العقل وحده، وإما الحس وحده، وإما العقل والحس كلاهما، وليس عندنا مدرِك أخر غير العقل والحس.

فإن كان المدرِك هو العقل وحده.. فإما أن يحكم بمجرد تصور طرفيه بلا توقف وسط حاضر في الذهن فهي الأوليات نحو: الكل أعظم من الجزء، ولكل حادث محدِث.

وإما أن يتوقف حكمه على وسط حاضر في الذهن فهي الفطريات، وتسمى قضايا قياساتها معها نحو: الاثنان خمس العشرة.

و إن كان الحاكم والمدرك هو الحس وحده فهي المشاهدات، وهي أعم من أن تكون برؤية العين؛ بل تشمل جميع ما كان بالحواس الخمس الظاهرة، لذا تسمى (حسيات)، كنعومة الحرير، وطيب رائحة الورد، وحلاوة العسل، أما إذا كان المدرك هو الحواس الباطنة فتسمى الوجدانيات كالحكم بأن لنا جوعًا وعطشًا[1].

(١) ينظر: تحرير القواعد المنطقية، للقطب التحتاني: ٢/٢٤٣.

فتبين من هذا أن المشاهدات على قسمين؛ حسيات ووجدانيات.

وإن كان المدرك هو العقل و الحس كلاهما.. فإن كان العقل مع حس السمع فهي المتواترات كعلمنا بوجود المعلقات العشر وأصحابها.

وإن كان العقل مع حس آخر غير السمع.. فإن احتاج العقل في الجزم إلى تكرار مشاهدة فهي المجربات كعلمنا بأن الدواء الفلاني يفعل كذا.

وإن لم يحتج العقل مع الحس في الجزم إلى تكرار مشاهدة[١] فهي الحدسيات[٢] كحكم القدماء بكروية الأرض؛ لما يشاهدون من أن السفن من بعيد يبدو عاليها ثم تظهر بالتدريج[٣].

أما عن حاجة هذه الثلاث إلى العقل.. فلأنها تثبت بها أمور جزئية ويضاف إليها حكم العقل بكبرى قياس من الشكل كأن يقال فيه: وكل ما كان كذا فهو كذا.

وبعد أن استعرضنا البرهان وأقسامه.. نختم هذا المبحث بتنبيهات لكي تكون متممة للبحث، وبالإمكان أن نبني عليها مباحث النبوة في المبحث الثاني، وهي:

التنبيه الأول: العلوم البدهية كلها غير اختيارية؛ فلا يمكن الشك فيها.

التنبيه الثاني: ان المتواترات يشترط فيها أن يكون فيها جمع يحيل العقل تواطؤهم على الكذب، وذلك في كل طبقة من طبقاتها، وأن لا يخبروا بما يخالف العقل، وأن يكون منتهى خبرهم الحس[٤]، ولا يشترط فيها عدد معين من الرواة، بل المدار على حصول اليقين للسامع من خبر المخبرين[٥]، كما قد تقوم الصفات

(١) وقد قرر المحقق عبد الحكيم بأن الحدسيات لا تحتاج إلى المشاهدة فضلاً عن تكررها؛ فإن المطالب العقلية قد تكون حدسية. ينظر: حاشية السيالكوتي على حاشية السيد على شرح الشمسية: ٢/٢٤٤.

(٢) ينظر: مغني الطلاب: ٣٤١-٣٤٤.

(٣) ينظر: منطق المظفر: ٤٦٤.

(٤) ينظر: نزهة النظر، للإمام ابن حجر العسقلاني: ٧٣.

(٥) ينظر: مغني الطلاب: ٣٨٤.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

مقام الذوات؛ فإن رواية خبر عن سبعة أشخاص صلحاء تفيد ما لا تفيده رواية عشرة أشخاص غير صالحين[1].

التنبيه الثالث: إن الحدسيات قد تكثر في الممارسة والانكباب على العلم؛ فمن مارس العلم طويلاً.. وجد من نفسه حصول علوم قد لا يستطيع إقامة الدليل عليها، وربما يعبر عنه في الفقه بقولهم: فلان فقيه النفس، وكما روي عن بعض حفاظ الحديث قولهم: معرفتنا بعلل الحديث كهانة.

التنبيه الرابع: اليقين الذي يثبت بالتواتر والتجربة والحدس ربما يكون جزئياً؛ فقد يحصل لأصحابها ما لم يحصل لغيرهم، فلا يفيد استعمالها في إلزام الخصم.

التنبيه الخامس: سبق أن ذكرنا أن هذه المطالب بدهية لا يختلف فيها اثنان في حال حصولها لهما، وعبر عنها بعضهم بالقضايا الواجب قبولها؛ لذا قررناها في أول المبحث، ثم سنأخذها مسلمة في المبحث الثاني لنبني عليها مطالبنا الخبرية.

المبحث الثاني
توظيف البرهان في إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

بعدما استعرضنا صناعة البرهان في صورة سريعة في المبحث الأول.. نأخذ هنا تطبيقات عليها؛ لنصل إلى الحقائق المطلوبة، وقبل هذا أود أن أبين ما يأتي:

إن الناس -بطبائعهم- مختلفين في ما يركنوا ويطمئنوا إليه من الأدلة؛ فهناك من يحتاج برهانًا علميًا من العلوم التجريبية، ومنهم من يحتاج برهانًا فلسفيًا، ومنهم من يكتفي بالخطابيات وتحفيز المشاعر المستكنة في فطرته، وهلم جرًا...

والأدلة على صحة نبوته عليه الصلاة والسلام متوافرة ومستفيضة ومتواترة، ويكفي دلالة على صحة نبوته عليه

(١) ينظر: حاشية الصبان على الملوي: ١٥٥.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الصلاة والسلام ما رواه البخاري في صحيحه من المحاورة بين هرقل وابي سفيان[١]... وكفى بها استنتاجا دقيقاً ومنطقا سليماً، الا انني آثرت أن أستخدم براهين علم المنطق في هذا البحث؛ لإضافة أبحاث جديدة غير مطروقة من حيث توظيف القواعد المنطقية في أهم مبحث من مباحث علم الكلام، ولعله يفتح باباً جديداً للباحثين في ربط العلوم بعضها ببعض، وهذا بدوره يحقق انجازات علمية كبيرة، ويوسع مجالات البحث العلمي.

وهنا نأخذ البرهان باعتبار الدليل الفلسفي، والدليل العلمي معًا؛ ليكون أوقع في هذا التوظيف؛ حتى يكون كلامنا مسلسلاً بطريقة علمية ومنهجية.

على أن البراهين تستلزم معرفة الاقيسة المنطقية، ولكنني لن أخوض بها على اعتبار أنها شبه الأسباب البعيدة لصلب البحث، مع الإحالة إلى ذهن القارئ الذي يجب أن يكون قد قرأ ولو أوليات المنطق، وسأكتفي بالتعرض لما هو مماس ومباشر لصلب البحث وهو البراهين..

قال الإمام الغزالي: (فإن وقع لك الشك في شخص معين، أنه نبي أم لا؟ فلا يحصل اليقين إلا بمعرفة أحواله، إما بالمشاهدة، أو بالتواتر والتسامع، فإنك إذا عرفت الطب والفقه، يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطباء بمشاهدة أحوالهم، وسماع أقوالهم، وإن لم تشاهدهم، ولا تعجز أيضاً عن معرفة كون الشافعي رحمه الله فقيهاً، وكون جالينوس طبيباً، معرفة بالحقيقة لا بالتقليد عن الغير. بل بأن تتعلم شيئاً من الفقه والطب وتطالع كتبهما وتصانيفهما، فيحصل لك علم ضروري بحالهما. فكذلك إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن والأخبار، يصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه

(١) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، رقم الحديث: ٢٦٨١.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وسلم على أعلى درجات النبوة)[1].

وانطلاقًا من هذا.. أقول:

من القواعد الكلامية المقررة أن: (الإمكان أقوى أدلة الوقوع)، وبناء على ذلك نطرح هذا السؤال:

هل يمكن أن يرسل الله تعالى نبيًا يعلم الناس مصالح حياتهم العاجلة والآجلة؟

الجواب: نعم؛ فهذا من الممكن، وليس من المستحيل العقلي، ولا يمكن لعاقل أن يأتي ببرهان عقلي يفيد الاستحالة العقلية[2] لإرسال الله تعالى نبيًا إلى خلقه، كما أنه لا يمكن لأحد أن يأتي بدليل تجريبي على استحالة النبوة؛ فإن (الحكم بالضرورة أو الاستحالة أو الإمكان.. من اختصاص العقل، وليس من شأن التجربة)[3]، كما أن من القواعد العقلية المقررة: (عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود)؛ فقد يعظم الممكن فتقصر التجربة عن الوصول إليه فيظنه قصير العقل مستحيلاً[4]، فغاية الأمر أن الحكم بالنفي لا يستقيم دليلاً عليه عدمُ الوجودان.

وبعد ثبوت إمكان النبوة تأتي الخطوة الثانية وهي السؤال بـ: هل وقعت النبوة؟ بمعنى هل أرسل الله تعالى نبيًا إلى خلقه؟

وهنا يأتي دور توظيف البراهين السابقة في المبحث الأول، فنقول:

هنا نضرب مثالين لدليلين منطقيين برهانيين يدلان دلالة قطعية -لمن أنصف من نفسه واحترم عقله- على صدق محمد صلى الله عليه وسلم، من أحواله الشريفة؛

الحال الأولى: محمد صلى الله عليه

(١) المنقذ من الضلال، للإمام الغزالي: ١٣٤.

(٢) من نظر إلى الأدلة المنقولة عن الرازي الطبيب وقبله ابن الرواندي في نفي النبوة.. يراها لا ترتقي إلى مستوى الأدلة، إنما هي شبه، وينظر على سبيل ذلك كتاب الانتصار، للخياط المعتزلي.

(٣) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، للشيخ مصطفى صبري: ٤/ ٣١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

وسلم ادعى النبوة وظهرت المعجزة القطعية على يديه، وكل من كان ذلك فهو صادق في دعواه.. فمحمد صلى الله عليه وسلم صادق في دعواه.

وهذا الدليل يرجع إلى برهان التواتر؛ فإن المقدمة الأولى من المتواترات، والتواتر من الأدلة البرهانية.

الحال الثانية: أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يظهر عليه النبوغ السياسي ولا التشريعي ولا البلاغي في شبابه.. وكل من لم يظهر عليه النبوغ في شبابه ثم ظهر.. فلا بدّ من قوة خارجة عنه تعلمه.. ينتج: أن محمداً صلى الله عليه وسلم لا بد من قوة خارجه عنه تعلمه؛ وذلك لأن الأمر لو كان منه.. لاستمر، ولشاب على ما شب عليه؛ لأن الطبيعة تقتضي أن يستمر الحال على نمط واحد، ولكن لما حدث ما حدث.. تبين أنه ليس منه بل من قوة خارجة، وهذه القوة الخارجة قد تكون معلماً -كبحيرا-، وقد يكون من الله تعالى، وهنا نجزم بأنه الله تعالى؛ لأننا سنذكر في الدليل الشرطي ما يبطل المعلم الخارجي غير الله تعالى، فارتقبه واطلبه فإنه سيأتيك عن قريب إن شاء الله تعالى.

وهذا الدليل إنما هو من الحدسيات التي هي من البراهين المقطوع بها كما تقدم.

فإن قيل: قد وظفتم هنا دليلين من البرهان المنطق؛ فكيف توظفون الأوليات، والمجربات

أقول: أما الأوليات.. فقد تقدم أنها تحصل بمجرد إدراك الموضوع والمحمول فيحكم العقل بثبوت المحمول للموضوع دون توقف على شيء آخر، ويمكن الاستدلال على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالأوليات.. بما وقع لسيدنا أبي بكر الصديق وأم المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنهما؛ إذ بيَّن السعد التفتازاني أن من الأوليات ما كانت الأطراف والارتباطات بين الموضوع

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

والمحمول جلية عند الناظر[1]، فلما سمعا الدعوى -ولنفترض انها كانت: «محمد أوحي إليه»- صدقا ذلك مباشرة، ويصح مثله في إنسان مارس قراءة تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يعرف بأن نبي مرسل، فلما وصل إلى مرحلة الوحي والبعثة.. آمن ببعثته دون تردد؛ لما خبر من أحواله السامية الكاملة التي لا تليق ببشر عادي.

هذا.. ويمكن أن نعد الفطريات مع الأوليات؛ لشدة قربها منها؛ كما بيَّن ذلك المناطقة[2]، وكما جاء في ناموس الإيقان: (ان الطبيعة السليمة تستخرج أقيستها بأدنى التفات إليها بمجرد اطلاعه على الحد الأوسط فيها بحيث لا يغيب عنه)[3]، فلا مانع من جعل الدليل أعلاه مشتركًا بين الأوليات والفطريات، يظهر ذلك بالتأمل.

أما المجربات.. فلنفرض أن شخصًا وقع بين يديه كتاب عن الحقائق العلمية في القرآن، وهو لا يعرف القرآن ولا النبي الذي نزل عليه القرآن، فبدأ بدراسة الحقائق الكونية واحدة تلو الأخرى، حتى أتى عليها جميعها، وثبت عنده أنها كلها موافقة للحق، ثم سمع بأنها تنسب إلى شخص ظهر قبل قرون لا علم فيها ولا معلم، ولا تكنلوجيا ولا تطور، ثم سمع أن هذا الرجل يدعي النبوة، فإنه يجزم بصدقه مباشرة من مبدأ التجربة المتكررة السابقة بأنه ما قال شيئًا الا ثبت صدقه.

وهنا أدعو القارئ الكريم أن يدقق في الفرق بين الدليل التجريبي والأولي، وهما لايلتبسان على ذي نباهة وفطنة.

أما المشاهدات.. فهي غير واردة هنا؛ لأنها بواسطة المشاهدة، وهي منتفية الا عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وقد يستدل لها بحديث: (أي الخلق أعجب

(١) ينظر: شرح الشمسية، للسعد: ٣٤٦.
(٢) ينظر على سبيل المثال: حواشي البنجويني والقرداغي على البرهان: ٣٨٢.
(٣) ناموس الإيقان في شرح البرهان، للخربوتي: ٢٢٧.

إيمانًا؟... قالوا: الصحابة، قال: الصحابة مع الأنبياء فكيف لا يؤمنون؟!)[١]، وقد بيَّن المحقق الكلنبوي أنها (لا تكون يقينية لمن لم يجدها في وجدانه)[٢]، وأوضح المحقق القرداغي أنها لا تكون يقينية من حيث إنها من المشاهدات، وهي يقينية لتواترها أو إقامة البرهان عليها[٣]، وعليه فتوظيف المشاهدات لإثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يكون بإرجاعها إلى المتواترات.

تتمة..

بعد أن استعرضنا توظيف البرهان.. أود أن ألتفت إلى توظيف القياس الاستثنائي بقسميه الاتصالي والانفصالي، علمًا أن مؤداه لا يخرج على البراهين السابقة، فأقول:

أما القياس الشرطي.. فنأخذ دليلين، وهما كافيان في الدلالة على المطلوب فنقول:

الدليل الأول: لو كان محمد صلى الله عليه وسلم اقتبس شريعته من غيره -كبحيرا أو جبر أو غيرهما- لنقل أتباعه ذلك؛ لأنهم لم يتركوا شيئا يخصه الا نقلوه، لكنهم لم ينقلوا شيئاً من ذلك.. فدلَّ أنه لم يقتبس شريعته من غيره.

وهنا نسأل: إذا لم يكن اكتسبها من غيره فمن أين أتى بها؟

الجواب: لما لم يوجد منقول عنه، ووجد منه أنه ينسبها إلى الله تعالى، وهو -إضافة إلى تواتر صدقه-.. قد صدَّقه الله تعالى بالمعجزة؛ لأنها نازلة منزلة: «صدق عبدي في كل ما أخبر عني»-كما تقرر ذلك في علم الكلام- فهذا دليل على أنها من الله تعالى، فيجب الأخذ بها على أنها أوامر الله تعالى، لاسيما وأنها لا تشبه شيئًا من قوانين التوراة والإنجيل بله القوانين الوضعية.

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة: ٦/ ٥٣٨، ورجاله ثقات.

(٢) البرهان في المنطق، للعلامة الكلنبوي: ٣٨١.

(٣) ينظر: حاشية القرداغي على البرهان: ٣٨٠.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الدليل الثاني: لو ثبتت الطعون التي يتشبث بها أعداء محمد صلى الله عليه وسلم.. لاتخذها أعداؤه شُبهاً يتمسكون بها، لكنهم لم يتشبثوا بها.. فدل على أنها غير ثابتة.

ومن المعلوم.. أن أعداءه لم يرموه الا بتعليم البشر له، وبأنها أساطير؛ أما رميهم إياه بتعليم البشر.. فقد ثبت بطلانه في الدليل السابق، وأما بكونها أساطير.. فيردها بأنه حقائق ثبتت عندهم كهزيمتهم يوم بدر، وكفتح مكة، وكانتصار الروم على الفرس... وهلم جراً، وهذا ليس شأن الأساطير والخرافات.

وهذا الدليلان يعودان إلى التواتر، كما يمكن أن يعودا إلى الفطريات التي اعتبرها الخربوتي جزءاً من المذهب الكلامي في علم البلاغة[1].

وحتى لا نهمل القياس الشرطي الانفصالي نقول:

إن محمداً صلى الله عليه وسلم اما أن يكون صادقاً داعياً إلى الله تعالى، وإما أن يكون كاذباً داعياً إلى نفسه (وهذه شرطية منفصلة مانعة جمع وخلو)، لكنه ليس كاذبًا ولا داعيًا إلى نفسه.. فقد ثبت أنه صادق داع إلى الله تعالى؛ وذلك لأنه لو كان داعياً إلى نفسه.. لتمتع بالغرض الذي يصبو إليه من غنى ورئاسة وملك وغيرها، لكنه تواتر عنه أنه عاش فقيراً، يمشي مع أصحابه، يخصف نعله، يجلس حيث انتهى به المجلس، بل حتى كان ينهى عن القيام له إذا دخل على أصحابه، وكل هذا تواتر عنه عليه الصلاة والسلام.

(١) ينظر: ناموس الإيقان في شرح البرهان: ٢٢٧.

الخاتمة

في أهم النتائج

بعد هذه الرحلة الماتعة بين الفلسفة والعلم لإثبات الحقيقة.. أسرد أهم نتائج البحث، فأقول:

١. إن مبحث النبوة من أهم المباحث العلمية في الإسلام، وترسيخه في هذا العصر الذي لبس فيه الزنادقة والملحدون ثياب المؤمنين غدا أهم المهمات الدينية، وقد دعا العلامة عبد الحليم محمود أن علم الكلام ينبغي أن يكون دورانه حول النبوة أولًا؛ حول إثباتها على وجه العموم، وإثباتها باستفاضة -على وجه الخصوص- بالنسبة لخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[١].

٢. سبق وأن قرر العلماء بأن (الابستمولوجيا نصف الفلسفة) فعلى الباحث عن العلوم والمعارف من النبوات وغيرها.. أن يفهم ويذعن ويصدق بنظرية المعرفة؛ ليكون بحثه علمياً ونظره مستقيماً، لا أن يكون هوائياً يعتقد الاباطيل ثم يجهد نفسه في الاستدلال لها، فيأتي بدليل وهو ليس بدليل، وينكر دليلاً وهو ثابت تقرره القواعد العلمية وموازين البحث العلمي.

فمن أنصف من نفسه.. علم أن هذه الأدلة السابقة برهانية قطعية لا يجد العاقل نفسه أمامها إلا مذعنا منقاداً معترفاً؛ لأن العقلاء اتفقوا على اعتبار هذه الأدلة واعتمادها، والعابث لا مجال ولا محل له بين أوساط العقلاء، وحقه الإقصاء عن الساحة العلمية حفاظاً على الحقيقة من الضياع، فتحري المناهج العلمية الحقيقية لإدراك الحقيقة في زمن ضياع الحقائق.. من أوجب الواجبات، وهذه السبيل متوافرة في القواعد المنطقية المحررة بين أيدينا ولله الحمد، ومنها مباحث الصناعات الخمس، وأقسام صناعة البرهان.

٣. إن أغلب الأدلة ترجع إلى التواتر،

(١) ينظر: الإسلام والعقل، للإمام عبد الحليم محمود: ١٧٧.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وهو بدوره يوجب العلم الضروري بصدق الخبر المتواتر؛ لذا فهو عمدة في هذا الباب.

٤. ولا يفوتني أن في هذه الخاتمة أن أبين أمراً مهماً مفاده:

بعد أن ثبت عندنا بالدليل العلمي القاطع صحة وصدق نبوة ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن النبي والرسول يدلان -بنسبة الإضافة- على المنبِّئ والمرسِل، وهو الله جل جلاله وعم نواله، وهذا بدوره يلزم لزومًا بيناً لا محيد عنده بضرورة الأخذ بجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ إنه مرسَل من مرسِلٍ خالقِ الكون وصانعه، وراحمه وواضعه منهجه على وفق ما ينفع الخليقة، فلا مناص من قبول جميع ما جاء به والإذعان له، وإلا وقع التناقض العقلي بين الإذعان الاضطراري لتصديقه، وبين رفض ما جاء -كما هو الواقع الآن- إذ الإيمان بالنبوة الآن بين المشاغبين الرادين لغالب الشريعة بعقولهم السخيفة.. إما تناقض عقلي لم يلتفتوا إليه، وإما هي الزندقة المشبوة بنوع إيمان بالنبوة؛ كما أوضح ذلك الإمام الغزالي رحمه الله تعالى، والغاية منها تحريف الدين ومحاولة ضرب الثوابت الإيمانية بثوب الدين، وهو ثوب مزيف باطل.

ولا أبالغ إن قلت: إن هذه الفقرة والتي قبلها.. من أهم ما أصبو إليه من هذا البحث.

٥. إن الفلاسفة من أرسطو وأتباعه أقروا بالاعتراف بالأنبياء والرسل موافقين بذلك جميع الملليين.

هذا.. وانني أوجه هذا البحث لمن يحترم عقله ويؤمن بنتائج مقدمات الأبحاث العلمية بأنها توصل إلى الحقيقة قطعاً، وأنزهه عن هرطقات السفسطائية الجدد من الذين لا يؤمنون بعقل ولا تاريخ ولا مقدمة ولا نتيجة؛ إذ هؤلاء ليسوا بعقلاء، فمن الظلم للعلم أن يدنس بنقاشهم له.

قائمة أهم المصادر والمراجع

١.البرهان في علم المنطق، إسماعيل الكلنبوي، مطبعة السعادة، مصر.

٢. تحرير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية، قطب الدين محمود الرازي، مطبوع ضمن مجموعة شروح وحواشي الشمسية، شركة شمس المشرق، بلا معلومات.

٣.حاشية عبد الحكيم السيالكوتي على حاشية السيد على شرح القطب التحتاني على شرح الشمسية، مطبوع ضمن مجموعة شروح وحواشي الشمسية، شركة دار المشرق.

٤. حاشية الصبان على الملوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٣٨م.

٥.حاشية عبد الرحمن البنجويني على البرهان، مطبعة السعادة، مصر.

٦. حاشية عمر القرداغي على البرهان، مطبعة السعادة، مصر.

٧.شرح إيساغوجي في المنطق، علي الحنفي المشهور بإسكيجي زاده، طبعة تركية قديمة، بلا معلومات.

٨. شرح الملوي على السلم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٣٨م.

٩. شرح الرسالة الشمسية، لسعد الدين التفتازاني، تح: جاد الله بسام، دار زين العابدين، إيران، ٢٠١٢م.

١٠. صحيح البخاري، دار صادر، بيروت، بلا معلومات.

١١. مغني الطلاب شرح إيساغوجي، للمغنيساوي، مع شرحه سيف الغلاب، لمحمد فوزي الآدرني، تنقيح وتصحيح: عبد الرحيم أحمدي، بلا معلومات.

١٢. موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري التوقادي، دار التربية، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.

١٣.ناموس الإيقان شرح البرهان، يوسف أفندي الخربوتي، طبعة تركية

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

قديمة بلا معلومات.

١٤. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار ابن كثير، دمشق، ط٤، ٢٠١٩.

١٥. النظرية النسبية تؤكد أن الإسلام هو دين الحق، الدكتور محمد عبد الحي، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف، بلا معلومات.